حقيقة هويتنا». وحين أخفقت محاولات الضمّ والتغطية هذه، كان ما يبدو علناً وعلى السطح هو ان ثمّة خلافاً علمياً بين فرويد ويونغ هو الذي أدى الى التباعد. ولكن الحقيقة، كما تكشّفت بعد ذلك، هو ان يونغ ذلك المسيحي الالماني الذي وصفه فرويد بالآرية، قد خرج على الخط السياسي الصهيوني الذي كان يقضي، آنذاك، بتضخيم أبعاد المشكلة اليهودية، وحشد مشاعر التعاطف مع اليهود، في مواجهة الخطر النازي. ولم تتردد القيادة الفرويدية الصهيونية في تشجيع محاولات الصاق تهم معاداة السامية والتعاون مع النازيين بيونغ؛ وهي الاتهامات التي ثبت زيفها بعد ذلك.

والامر كذلك بالنسبة الى اريك فروم وفيلهام رايخ. لقد أُلقي بهما خارج أسوار التنظيم الفرويدي؛ وكان السبب المعلن، كالمعتاد، هو خروجهما على الافكار الاساسية للتحليل النفسي. أما السبب الحقيقي، فلا يصعب تبيّنه، اذا ما نظرنا، مرة أخرى، الى الموقف السياسي الصهيوني للتنظيم الفرويدي. ان ما يجمع بين فروم ورايخ هو تأثرهما بالماركسية وسعيهما الى الجمع بين الفكر الماركسي وفكر التحليل النفسي، وممارسة هذا الجمع عملياً. والماركسية كانت تنادي، في ادبياتها المبكرة، بأن حل المشكلة اليهودية لا يتأتى الاّ بقبول اليهود، بداية، على انهم جزء من الاوطان التي يعيشون فيها، ومن ثمّ، فان عليهم الاندماج في شعوب تلك الأوطان. وتتناقض تلك الدعوة الى الاندماجية، تناقضاً تاماً، مع ما تدعو اليه الصهيونية من ان الحل هو تأكيد تمايز اليهود ودعم سعيهم الى خلق وطن يهودي. ولا تتضح طبيعة الموقف الذي يتخذه التحليل النفسي الفرويدي من الفلسفة الماركسية في المؤلفات المعلنة لفرويد وأعوانه، ولكنها تبدو جلية في الخطابات الشخصية التي تبادلها فرويد مع العديد من الشخصيات المعاصرة له. ويكفي ان نشير، في هذا الصدد، على سبيل المثال، الى الموقف الذي اتخذه فرويد حين طلب منه صديقه أرنولد زفايغ ان يوقع على بيان يتضمّن ادانة الاضطراب الاقتصادي الرأسمالي الذي أدى الى الازمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات. لقد أفصح فرويد عن موقفه بوضوح، في خطاب شخصي بعث به الى زفايغ، في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٠، قال فيه: «... لقد كان يسعدني ان أضع توقيعي على البيان، لولم يتضمّن هجوماً على الاضطراب الاقتصادي الرأسمالي. الاّ ان توقيعي سوف يعني، آنذاك، تدعيمي للنموذج الشيوعي؛ وانني لأنأى بنفسي عن ذلك. فعلى الرغم من كل ما احس به من ضيق بالنظم الاقتصادية الراهنة، فانني لا اتصور ان الطريق الذي يتبعه السوفيات سوف يؤدي الى أي تحسّن». وفي خطاب تال بعث به فرويد الى زفايغ، في السابع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٠، جاء عن التجربة السوفياتية: «... لقد حرمتنا من آمالنا... ولم تقدم الينا شيئاً بديلاً...». وكان فرويد صادقاً في ذلك، كل الصدق، كقائد لتنظيم سياسي صهيوني. فلقد تعلقت آمال الصهيونية العالمية، في البداية، بالثورة البلشفية، على رجاء ان تحصل، من خلال هذه الثورة، على دعم لاقامة الدولة اليهودية الموعودة. وبالفعل، فقد ظل حزب احباء صهيون موجوداً قانوناً في روسيا حتى العام ١٩٢٦. ومع مشارف الثلاثينات، منعت كل الاحزاب الصهيونية في روسيا. وفي ذلك الاطار، نستطيع ان ندرك مدى صدق كلمات فرويد، ونستطيع، أيضاً، ان نفهم طرد رايخ من الجمعية الدولية للتحليل النفسي في حزيران (يونيو) ١٩٣٤، بعد ان طلب منه ايتنغتون، في العام السابق، ان يستقيل، فرفض. لقد حاولت قيادة التنظيم الفرويدي الصهيوني ان تصور الأمر كما لو كان خلافاً علمياً بين فرويد ورايخ، يتمثّل، أساساً، في كتاب رايخ المعنون «وظيفة الاورغازم». ولكن الكتاب كان مضى على اصداره، آنذاك، ستة أعوام. فقد أُصدر في ٦/٥/١٩٢٧ احتفاء من رايخ بعيد ميلاد فرويد. بل ان فرويد نفسه قد بعث الى رايخ بخطاب شخصي يمتدح فيه الكتاب، مشيراً الى انه «... هام وغني بملاحظته... وكما تعرف، فليس لدي اعتراض على محاولتك تفسير مشكلة